

الفصل الحادى عشر الفلسفة والدين فى القرن الثالث

إن فى بحث الفلسفة والدين فى فصل واحد فائدة محققة ، لوقوع التداخل بين المجالين فى كثير من الأحيان . ثم إن تعاليم الرواقية دينية وفلسفية على السواء . والدين القائم على أساس النجوم مشتق من الفلسفة والعلم . وعلى الرغم من اضمحلال أثينا السياسى وقررها فقد ظلت التعاليم الفلسفية نقطة الانطلاق . ومن أجل ذلك يجب أن تبدأ دراسة الفلسفة الهلينية ببيان عن الظروف الأثينية . إن المدارس الأربع الكبرى هى : الأكاديمية ، والبيقوم ، والحديقة ، والرواق ، ولا بد أن نضيف إليها الجهود المشتتة التى بذها الكليون والشكاك^(١) .

الأكاديمية :

بعد وفاة أفلاطون سنة ٣٤٧ ، أشرف على المدرسة ابن أخيه سيبوس (٣٤٧ - ٣٣٩) ، ثم كسينوكراتيس (٣٣٩ - ٣١٥) وبوليمون (٣١٥ - ٢٧٠) ، وكراتيس الأثينى (٢٧٠ - ٢٦٨ - ٤) . هؤلاء الرجال الأربعة - وجميعهم أثينيون فيما خلا كسينوكراتيس ، وقد جاءوا خلقدونية (قرب ملخل البفور) - كانوا رؤساء المدرسة الأصلية أو الأكاديمية القديمة .

وعند وفاة كراتيس سنة ٤٢٦٨ ، كان أركيسيلوس البيتانى (أبوليس ، ميسيا) رئيساً للمدرسة ، فوجهها توجيهاً جعل الناس يطلقون عليها اسم الأكاديمية الجديدة . لقد خاض فى جدال مع الرواقيين ، فعارض قطعيتهم ، وأحيا اتجاهات الشك الكامنة عند سقراط ، وأفلاطون ، بل بيرون ، واشتد فى معارضة تمسكهم بالأمور الأخلاقية . فألح بضرورة التفكير الواضح والشك المنطقي . وقد كان

هذا ملائمةً للمزاج العلمى عند أهل العصر . ونما شك الأكاديمية الجديدة على يدى خليفة أركيسيلوس المسمى لاكيدس البرقاوى (٢٤١ - ٢٢٤ / ٢) وحظى رؤسائها الأوائل برعاية ملوك برجامة ، فأركيسيلوس رعاه يومينيس (المتوفى سنة ٢٤١) ، ولاكيدس رعاه أتالوس سوتر الأول (حكم من ٢٤١ إلى ١٩٧) . وكان أتالوس راعياً كبيراً للفنون والآداب ، منح لاكسديس حديقة للتعليم جديدة (لاكيديون) ، ودعاه إلى المحبىء إلى برجامة ، فاعتذر لاكيدس عن الدعوة اعتذاراً رقيقةً جداً .

وخلف لاكيدس ، تلكليس (٢٢٤ / ٢ - ٢١٦) وايفاندرس الفوكيانى (٢١٦ -) وهيجيسينوس البرجامى . ومن الجائز أن يكون إشراف آخر هؤلاء إنما بدأ فى القرن الثانى .

ذكرنا أسماء رؤساء الأكاديمية دلالة على استمرار هذا المعهد ودلالة كذلك على انحلاله بالتدرج . لقد كان أوائل خلفاء أفلاطون - سبوسوس وكينوكراتيس - فلاسفة ورياضيين مرموقين . أما من أشرفوا على المدرسة فى القرن الثالث - بوليمون وكراتيس وأركيسيلوس ولاكيدس وتلكليس وإيفاندرس - فيكادون يكونون من المنسبين وليس لأسمائهم فى ذاكرتنا رنين .

مدرستا ميجارا وبرقة :

يحمل بنا قبل أن نتحدث عن المدارس الأثينية الأخرى أن نورد نبذة قصيرة عن المدرستين الإقليميتين ، مدرستى برقة وميجارا^(٢) . ومدرسة ميجارا أسسها إقليدس الميجارى (حوالى ٤٥٠ - ٣٨٠) أحد تلاميذ سقراط ، وما نعرفه عنه قليل . وقد تلقت المدرسة إلهامها من برمنيدس والإيليين ، ولم تبق أكثر من جيلين من المعلمين . وخلف إقليدس ، ستلون الميجارى (حوالى ٣٨٠ - ٣٠٠) الذى يبدو أنه كان معلماً نابهاً حظيت المدرسة فى عهده بصيت ذائع . وكان ستلون تلميذاً لديوجينيس الكلبي وإقليدس ، فأضاف ميولا كلية لتعاليم إقليدس هذا . وترجع قوة تأثيره إلى شخصيته أكثر

مما ترجع إلى طرافة مذهبه . وأسس مينديموس ، أحد تلاميذه ، مدرسة فلسفية جديدة في بلده إريتريا (في يوبويا Eubolia وهي جزيرة قريبة من أتيكا) وكان معلماً وصديقاً لأنتيغونوس جوناناس . ولم تعمر المدرسة الإترية زمنًا طويلًا . ولا نستطيع أن نذكر إلا تلميذاً يسمى كتيبيوس ، وقد وجه النقد إلى تعاليمها ، الرواقى سفيروس البوريستينى (عاش على الأقل حتى ٢٢١) .

وأكبر الظن أن المدرسة الميجارية لم تعش حتى ذلك الحين .

أما المدرسة البرقاوية Cyrenaic فقد أسسها أحد تلاميذ سقراط المباشرين أريستيبوس البرقاوى ، وقد كان من الآخذين بالمذهب العقلى والنازعين إلى مذهب اللذة ، وكان تعليمه تطويراً للأبيقورية ، وواصلته ابنته أريته وابنها أريستيبوس الصغير وأنتيباتروس البرقاوى ، وتيودوروس الملحد (وهو لعمري خليط من الأسماء عجيب) . وهيجيزياس وأنيقيرس الصغير . وقد انتهى الأمر قبل نهاية القرن الثالث ، ولكن المعلمين بأشخاصهم أثروا في فلاسفة آخرين . وقد اختلفت آراء الثلاثة الأخيرين ، وربما كان الواجب في هذه الحالة ألا تستعمل كلمة المدرسة إلا على سبيل المجاز .

هذه الوقائع لا أهمية لها إلا بقدر ما تدل على حب الفلسفة حباً أخذ بألباب اليونانيين ، فجعل المدارس الأثينية عاجزة عن أن تشبع رغباتهم ، فاحتاجوا إلى مدارس إقليمية في ميجارا وأريتريا ، وبرقة ، وربما في جهات أخرى . ولست أعرف مثالا آخر على مثل هذه الوفرة في العالم كله . ومرجع ذلك جزئياً إلى الافتقار إلى دين ذى سلطان ، وإلى مخالفة العرف القائم ، وهي نزعة طبيعية لدى اليونانيين ، وفيها تكمن قوتهم وضعفهم في آن واحد .

الليقيوم والرواق والحديقة

كان الليقيوم أسعد حظاً من الأكاديمية من حيث إن مؤسسه قد خلفه اثنان من ذوى العبقرية العظيمة . لم تلبث رياسته له سوى

ثلاث عشرة سنة (٣٣٥ - ٣٢٣) . ولكن ثيوفراستوس الأرسوسي أشرف عليها ٣٨ سنة (٣٢٣ - ٢٨٦) وستراتون اللبساكي منظم المتحف الإسكندراني زهاء تسع عشرة سنة (٢٨٦ - ٢٦٨) . أما خليفته ليكون الترواسي الذي تولى رئاسة الليقيوم ٤٤ سنة (٢٦٨ - ٢٢٥) فكان قليل الأهمية نسبياً .

بعد لوكون جاء أريستون الأيولي (كيوس) ، وبفضله اطلع ديوجينيس لائرتيوس على تراجم رؤساء المدرسة الأربعة الأوائل ومؤلفاتهم ووصاياهم . وكان أرسطون أقرب إلى الأدب منه إلى الفلسفة . سلك الطريق الذي بدأه ثيوفراستوس بكتابه عن « الأخلاق » ، واحتذى مثال الكلبي الأكاديمي بيون البوريستيني (حوالي ٣٢٥ - ٢٥٥) . وبقى الليقيوم في عصره الذهبي أقل من سبعين سنة (٣٣٥ - ٢٦٨) .

ولنلاحظ أنه بينما كانت الأكاديمية في صميمها مدرسة أثينية ، كان الليقيوم القديم في أيدي مشرفين أجنب ، كان أرسطو مقدونياً وثيوفراستوس من لسبيا ، وستراتون من ميسيا وليكون من طروادة ، (الثلاثة الأخيرون جاءوا من إقليم واحد في شمالي غربي الأناضول) . ومع ذلك فالرئيس الأخير للقيوم أقرب إلى أن يكون أثينياً ، لأن الجزيرة التي ولد فيها - كيوس - قريبة جداً من أتيكا .

وأهم هذه المدارس جميعاً وأبعدها أثراً الرواقية أو « ستوا » . ولا مبالغة في الكلام عن أهمية الرواقية فيما يتصل بالأخلاق والسياسة : ففي عصر اتسم بالفوضى وانحلال الأخلاق كانت أفضل من رفع علم الذود عن الفضائل الشخصية والاجتماعية ، وأشادت بالضمير والواجب ، وبالاعتقاد بالعناية والإذعان للقدر^(٣) والتوفيق بين حياة الإنسان وبين الكون (أو الطبيعة) كما أشادت بطاعة الله وبالسكينة (أتاراكسيا) ؛ أي الخلو من الاضطراب ، وبالانسجام بين إرادة الإنسان وإرادة الله ، (يودايمونيا) وبالاكتفاء بالذات (أوتاركيا) ، وأشادت كذلك بالمساواة والمشاركة وبالزمانة بين الناس وبالعدالة

والأخوة (كوثينونيا)^(٤) . كانت الرواقية أرفع المذاهب الأخلاقية في العالم القديم ، وانعقد لها لواء السيادة على النفوس والسلطان على العقول حتى نهاية الوثنية .

ولسوء الحظ لم يهتم الرواقيون بالعلم إلا قليلا ، وناصروا الكهانة (مانتيا) والتنجيم . وفي مجال الأخلاق كانت مذاهبهم شديدة التجريد والبرودة ، قليلة التعرض للجوانب الشخصية ، وهذا مما يفسر الانتصار الأخير للمسيحية على الرواقية ، إذ حرص المسيحيون على الكلام عن المحبة والإحسان والرحمة .

كان أول معلمى المدرسة زينون الكيتيوني (٤ - ٢ ق . م .) ، ويغلب أن يكون من أصل فينيقي ، وقد عاش حتى سنة ٢٦٤ - وهو لذلك ينتمى إلى القرن الذى نكتب عنه ، كما ينتمى إلى القرن الرابع . ومن تلاميذه برسايبوس الكيتيوني وسفيروس البرويستيني . وأول من خلفه على رأس الرواقية كلياينتيس الأسوسى (٣ - ١ ق . م .) ، وكريسيوس الصولى (٣ - ٢ ق . م .) . ولم يكن كلياينتيس فيلسوفاً فحسب عمل على إرساء دعائم المذهب الرواقى ، بل كان شاعراً ملهماً ومؤلفاً لأعظم أشودة دينية فى اللغة اليونانية^(٥) . أشرف على الرواق من سنة ٢٦٤ إلى ٢٣٢ ، وأشرف عليه كريسيوس من سنة ٢٣٢ إلى سنة ٢٠٧ . كان كلياينتيس شاعراً فكانت فلسفته أحفل بالعواطف من فلسفة زينون . كان يرى الكون كائناتاً حياً ويرى الله نفسه والشمس قلبه . غير أنه صرح بأنه لا يمكن أن تقوم فضيلة بغير براءة نفس . ولكن كيف يكون الرجل العاطفى ذا براءة ؟ لقد كانت البراءة الرواقية رائعة ، ولكن انعدام التأثير الذى لا ينفصل عنها كان أقل روعة منها بكثير^(٦) . أما كريسيوس فقد بلغت إضافاته إلى الفلسفة الرواقية من الكثرة والعمق مبلغاً جعل الناس يقولون إنه : « لولا كريسيوس ما كان هنالك رواقية » .

وكتب كريسيوس عدداً كبيراً من الكتب ، وكتب خليفته زينون الطرسوسى كتباً قليلة . ولكن فى ذلك الوقت (آخر القرن الثالث) كان صيت الرواقية قد طبق الآفاق حتى أصبح لزينون تلاميذ عديدون . وأغلب الظن أنه كان معلماً

ملهماً ، ولكن ما أصابه من نجاح يرجع خاصة إلى انتفاعه بحصيلة ما بذره أسلافه من قبل . جميع هؤلاء المعلمين الرواقيين كانوا أسيويين ما خلا سفيروس الذى كان من ستويا .

وكانت الحديقة كالرواق من وجوه عديدة . وربما كان التشابه بينهما راجعاً إلى اشتراكهما فى الانحدار من أصول شرقية ، وعلى الخصوص إلى التشابه بين الوظائف التى يؤديانها ، وإذا صح أن نحكم على الحديقة من المقتطفات المتعاقبة بها وبمؤسسها قلنا إنها كانت أبسط وأبعد عن الكلفة من المدارس الأخرى . غلبت على أعضائها حياة التشف بوجه عام . ولكن لم تلبث أن دبت فيها الحيوية والنشاط بتعود إقامة احتفالات موسمية من شأنها أن تقرب بين الأعضاء . وكان للنساء الحق فى الانخراط فى زورة الإخوان (إننا واثقون من هذا لأن كثيرين من المعاصرين كانوا يستقبحون تلك البدع الجريئة ويشهرون بها تشهيراً) . وأول معلم فيها أبيقور ، جاء من ساموس ، والثانى هرمارخوس جاء من ميتلين (لسبوس) . وقد بدأ تعليم أبيقور الأثنى فى سنة ٣٠٧ وعاش حتى سنة ٢٧٠ . ونستطيع أن نذكر رئيسين آخرين فقط فى القرن الثالث وهما بوليسترأتوس (ويعاونه هيبيوكايديس) وآخر يدعى ديونيسيوس (عاش حوالى سنة ٢٠٠) . وربما كان بوليسترأتوس تلميذاً مباشراً لأبيقور ، وبعض كتاباته قد وصلت إلينا^(٧) . والرجال الآخرون يكادون يكونون غير معروفين .

الكليبيون والشكاك :

لكى نكمل الصورة التى رسمناها للفلسفة فى القرن الثالث لا بد أن نقول شيئاً عن الاتجاهات التى لم تمثلها قط مدرسة معينة ، بل بقيت اتجاهات شخصية غير منظمة : إن التنظيم والتقنين أسباب قوة ولكنهما أسباب ضعف كذلك . فإن قوة منظمة ما ومجدها تؤثران فى صغار الناس ، وليس لها تأثير كبير فى العقول المبتكرة . وهذا ما وقع الكليبيين cynics والشكاك Skeptics .

كان لهم تلاميذ كثيرون هنا وهناك وإن يكن من العسير أن نتكلم عن مدرسة كلية أو أخرى للشكاك . الكلية والشك حالان من أحوال النفس ملازمتان لبعض الناس في جميع الأماكن والأزمان . غير أن أول من عبر عن تلك الأحوال النفسية كانوا يونانيين وكان هذا شأنهم منذ القرن الرابع .

والشاك الأول أنيسثينيس ، أحد تلاميذ سقراط ، ولكن أشهرهم ديوجينيس السيئوبى الذى تحدى الإسكندر الأكبر . ومن بين التلاميذ المتأخرين ذكر أسماء^(٨) أفراطيس الطبي . والفتاة هيبارخيا . وأخاها متروقلتيس المارونى (فى طراقيا) . وأونيسكريتوس الاستفالى (نسبة إلى إحدى بلاد الدوديكانيز) وقد كان أنيسثينيس الفيلسوف الوحيد من بينهم : وكان الآخرون أشبه بالقساوسة أو القديسين ، يحاولون أن يحيا حياة بسيطة ، ويزدرون الاشتغال بحطام الدنيا وصناعة الكلام .

وأول الشكاك الرسميين بيرون (حوالى ٣٦٠ - ٢٧٠) جاء من إبليس^(٩) . وقد أبى ذكره تلميذه تيمون الفليوسى . وكان له أصدقاء ومقلدون كثيرون إلى أيام مونتيني ومن بعده . وكل رجل من رجال العلم هو على نحو ما كلبي ، لأنه لا يقبل الألفاظ والمواضع بما لها من قيمة ظاهرية . وهو شاك لأنه يرفض الاعتقاد بشيء بغير دليل صحيح .

وقد ساعدت الكلية والشك على شروع ميول تلمس السكينة والاطمئنان . كما صنعت الرأفة والأبيقورية . وليس بعجيب أن نرى هذا العدد الكبير من الفلاسفة من مختلف الفرق يجمعون على فكرة الحاجة إلى البعد عن الحوى بغير الاعتزال عن الفوضى الضاربة أطنابها من حولهم ، ولن يجد الإنسان للسلام مكاناً فى غير نفسه التى بين جنبيه .

ملوك يراعون العلم

فى حين كانت أغلب الأعمال العلمية تتم فى الإسكندرية كاد يكون كل فيلسوف ممتاز قد عاش خارج حدود مصر . فلوك البطالمة لم يكونوا من مناصرى

الفلسفة . ولا أكاد أرى فيلسوفاً ناصره ما عدا رجلا مثل أراتوستينيس الذى كان أول أمره من رجال العلم ، ورجلا مثل تيمون الفينيوسى الذى نبغ فى الآداب . أما ملوك البلاد الأخرى المملينية فقد كانت أكرم وفادة لمحبي الفلسفة . فإن يومينيس الأول ملك برجامة (٢٦٣ - ٢٤١) شجع الأكاديمى أركيسيلائوس البيتانى ، كما أن خليفته أتالوس سوتر الأول (٢٤١ - ١٩٧) شجع لاكيديس البرقاوى . أما سفيروس البروستينى - وهو رواقى - فقد كان صديقاً لملك أسبرطة كليومانس الثالث (كان ملكاً ٢٣٥ - ٢٢٢) ، وأعانه على محاولته إحداث ثورة اجتماعية ؛ وبعد أن فشل كليومينيس سنة ٢٢٢ احتفى مع راعيه بطلميوس يوترجيتيس ، ولكنه سجن على يد فيلوناتر خليفة يوترجيتيس ، وانحصر (٢٢٠ / ١٩) . أكان سفيروس معه فى مصر ؟ . وأن أكبر الراعين للفلسفة هو أنتيجونوس جوناتاس^(١٠) الذى ساعد الكلبى بيون البروستينى والرواقى زينون الكيتونى و برسايروس وكذلك سينيديموس الأرترى . وقد كان أنتيجونوس هذا فيلسوفاً وراعياً للفنون والآداب ؛ أراد أن يمكن لشهرة مقدونيا فى الحافقين .

الرواقية - تيخى

أكبر هذه الفلسفات أثراً هى الرواقية . وبتوجيهها وإرشادها استطاع اليونانيون أن يصبحوا رجلا ومواطنين صالحين . واستطاعت المدينة أن تتطهر من أدرانها وأن تدعم أركانها . ولما كان من مبادئهم الحياة على وفاق مع الطبيعة كان المنتظر منهم أن يناصروا دراسة الطبيعة دراسة محايدة . ولكنهم لسوء الحظ قد انحرفوا عن هذا السبيل . لكى نطيع الله يجب أن نعرف إرادته عن طريق الكهانة (مانتيا) . وأكثر صور الكهانة مهابة التنجيم . ولذلك ناصروا دين النجوم وخرافات التنجيم المشتقة منه .

وأعان الرواقية على الاسترسال فى وهمها هذا الميتولوجيا اليونانية (التى لم تنس قط ولم تستأصل جذورها) والأفكار البابلية أو على الأصح الكلدانية التى أصبحت

جزءاً من الثقافة اليونانية في عهد رعاية السلوقيين وما يشابهها من الأفكار المزدهرة في مصر حينذاك والتي أضفى عليها الطابع الهلنستي إبان حكم البطلمة .

والعناصر اليونانية الخالصة هي الإلهة تيخي (الحظ) ، وفكرة الـ « مويرا » « أيسا » (المقدور)^(١١) . ولما دقت الأفكار بتأثير علماء الميثولوجيا كان هنالك ثلاثة حظوظ ؛ أي ثلاث نساء لمن الأمر فيما كتب علينا من مقدور ، كلوتو التي تغزل خيوط الحياة ، ولاخيزيس التي توزع الحظوظ ، وأتروبوس التي تقطع الخيط في غير هوادة ولا لين^(١٢) .

هذا مثل طيب لتهيئة فكرة مجردة على غرار ميثولوجي . إن فكرة المقدور (مويرا) قد حلت تحليلاً شعرياً ، فمثل كل جزء بامرأة ، كلوتو ولاخيزيس أو أتروبوس . وأصبح ذلك للشعراء والنحاتين معين إلهام لا ينضب . ولم تكن هناك حاجة إلى بحث أو مناقشة ، فكل فنان يستطيع أن يستعيد الفكرة العامة للقدر أو جانباً منها ، الغزل والتوزيع وأخيراً تقطيع أتروبوس ، النهاية المحتمومة لكل قدر إنساني ، الموت الأسود (أترامورس)^(١٣) . وتلقى كل واحد هذا الرمز على درجات متفاوتة من الحرفية أو الرمزية . وأشد جوانب الأسطورة سحراً هو أنها ليست منسوبة إلى أحد . من اختراع المقادير « مويراى » أو الآلهة والآلهات الأخرى ؟ . من المستحيل أن نعرف ذلك . إن الميثولوجيا جزء رئيسي من الفولكلور من أطلق اسم كلوتو ؟ . ومن سمي النبات والحيوان ؟ . إن الآلهة والآلهات الذين يرمزون لجوانب عديدة من الحياة والفكر قد اخترعها أشخاص مجهولون وعلى نحو خفي ، كما اخترعت أغلبية الكلمات وصيغ التصريف في قواعد اللغة .

كانت العبقرية اليونانية فياضة في اختراع الأساطير ، لأنها كانت في صميمها شعرية . وإن فهم هذه الخاصية أيسر إذا قارناها بالعبقرية السامية . كان المسلمون أكثر جبرية من اليونانيين . وغالباً ما كانوا يعبرون عن فكرة « المقدور » (مويرا) بمتراذفات (قسمة ، أونصيب) ، ولكنهم لم يتخيلوا النساء

رمزاً لتلك الفكرة وقضوا في المهد على صورها الشعرية والفنية التي نستمتع بها أيما استمتاع في الفنون والآداب اليونانية .

التنجيم

إن العناصر الفنية في التنجيم ، وتفاصيل عبادة النجوم ، جاءت من بابل ومن مصر . إن المنازل الاثني عشر لمنطقة البروج كان لكل واحد منها خواصه ، وكذلك للسته والثلاثين عقداً من عقود السنة المصرية . غير أن أهم الكواكب التي يعتمد عليها في تفسير (هرمنيس) القدر هي «الكواكب» السبعة ، هليوس ، وسلين ، وهرمس ، وأفروديت ، وأريس وزيروس . وكرونوس أو الشمس ، والقمر ، وعطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل . وقد عملت موافقات دقيقة بين الأحداث الإنسانية من جهة وبين الحوادث النجومية وأحوال الكواكب من جهة أخرى ، وبتعبير آخر بين الكون الكبير والكون الصغير^(١٤) . وكون الكواكب سبعة لا أكثر ولا أقل قد خلع عليها أهمية صوفية . وربما كانت القداسة التي يضيفها الناس على العدد سبعة فكرة بابلية . « قدرت للكواكب السبعة ألوانها المطابقة للطوابق السبعة في المعبد البابلي ، وقدرت لها معادنها ونباتها وحيوانها . والحروف المتحركة السبعة في حروف الهجاء اليونانية أصبحت علامة لها . ومنها جاء ذلك الاستعمال المستديم للعدد سبعة الذي لا يزال باقياً في أسبوعنا الهليني والذي ظهر في « النائمين السبعة » (أهل الكهف) وعجائب الدنيا السبع ، والمراحل السبع لحياة الإنسان (التي أخذها شكسبير من التنجيم) ، وأبواب إيزيس السبعة ، وسلم «مرا» ذي الدرجات السبع ، والأفراح السبعة للرجل الصالح في سفر الرؤيا لسلاثليل^(١٥) ، والملائكة والقوارير السبعة في كتاب «الوحي وأبواب جهنم السبعة والسموات السبع»^(١٦) . وأقدم وثيقة في هذا رسالة «الأسابيع» de hebdomadis المنسوبة إلى أبقرراط ، وترجع إلى القرن السادس إن لم تكن قبله . وقد أورد هيجل أثراً غريباً من هذه الخرافة في «الرسالة الفلسفية عن مدارات الكواكب» (١٨٠١) . وفيها «أثبت» أنه لا يمكن أن يكون هناك أكثر من سبعة كواكب^(١٧) .

كيف رسخت أركان التنجيم هذا الرسوخ في مصر في زمان أريستارخوس وأراتوس؟ إن توازي التطور في علم الفلك وفي التنجيم راجع إلى تقليدين مساعدتين لتخيلات المنجمين . كان هناك التقليد اليوناني الذي بدأ بكتاب « تياوس » وتبدي في صورة أكثر بروزاً في « أبينوميس »^(١٨) . وإننا لنكاد نزعم أن التنجيم اليوناني كان ثمرة للنزعة العقلية اليونانية . وعلى أي حال نحسب أنه تلقى نوعاً من التبرير من فكرة الكسموس . من فكرة كون قد دبر تدبيراً محكماً بحيث لا يكون جزءاً مستقلاً عن الأجزاء الأخرى وعن الكل . ألم يثبت هذا بالمد والجزر اللذين يحدتهما القمر والشمس ، وبحيض النساء ، وبمعارف الزراع عن القمر ، وبالاعتقاد العام في الجنون^(١٩) ؟ . ورؤية الإنسان للنجوم كان من شأنها إيجاد علاقة بينها وبين الناس . والمبدأ الأساسي في التنجيم . وهو المطابقة بين النجوم والناس مطابقة تمكن النجوم من التأثير و الناس ، لم يكن مخالفاً للعقل . وهذا المبدأ الذي أيده العلم اليوناني جاء من إيران ومن بابل الفارسية . وتلقى أصحاب التنجيم البطالسة إلهاماً إضافياً من معاصريهم الكلدانيين (البابليين المحدثين) .^(٢٠) وكان هنالك تقليدان : أحدهما يوناني بابلي ، والثاني بابلي محض . وكان كلاهما في الوقت نفسه سبباً في ميلاد علم الفلك ، ولاهوت أودين ، وهو دين النجوم ، وكان شيوع التنجيم بين جميع الطبقات راجعاً إلى هذا التأليف .

إن الاختلاط الكبير في الأفكار عن التنجيم حتى يومنا هذا راجع إلى أنه مهما يكن غرض أصحاب التنجيم وانحرافاتهم ، فإن أساسهم التكنولوجي كان أساساً فلكياً . وإذا كان قدر الإنسان معتمداً على أوضاع الأفلاك والنجوم يوم ميلاده (أو حملته) ، فقد كان من اللازم تحديد هذه الأوضاع بقدر ما يمكن من الدقة . وقد كان ذلك مسألة فلكية محضة . وقد كان الاختلاط أكثر في تلك الأيام بسبب خلط العلم بالدين .

كان أصحاب التنجيم فريقين ، فريق هو أكثر اتصلاً بالعلم وقد سموا أنفسهم بالرياضيين ، وفريق هو أكثر تعلقاً بالدين . وهم القساوسة والعرافون

horoscopoi (هوروسكوبوى) (٢١). وهؤلاء القساوسة كانوا إما يونانيين أو مصريين متشبهين باليونانيين، ولم يقتصرُوا على التنجيم، بل مارسوا صوراً أخرى كثيرة من الكهانة (مانتيا، مانتيسى، تخنى).

ويستطيع المرء أن يستنتج وجود رسائل عديدة في التنجيم كتبت في مصر إبان القرن الثالث قبل الميلاد، ولكن أغلبيتها ضاعت، وربما كان أقدمها نصاً منسوباً إلى هرمس تريس ماجستوس^(٢٢) (الأعظم ثلاث مرات)، والترجمة اللاتينية لهذا النص اكتشفها فيلهم جوندل في مخطوط متأخر جداً (المتحف البريطاني، هارليانوس رقم ٣٧٣١ وتاريخه ١٤٣١). وليس يوجد لهذا النص نسخة أقدم من هذه سوى أن أهم فصل من فصوله قد ترجم إلى الفرنسية (بيكار) بقلم أرنو كانكمبوا (١٤ : ١) (٢٣)، لملكة فرنسا ماري اللوكسمبرجية^(٢٤).
ظاهر أن «كتاب هرمس» Liber Hermetis أثر باقٍ من رسالة يونانية مصرية، وهي تشمل على عناصر مصرية وتعبيرات من السلف الفارسيين، وتبحث في ٣٦ عقداً في ٧٢ نجماً من المنازل اليونانية sphaera graecanica ونجوم أخرى من المنازل الأعجمية (sphaera barbarica) (٢٥).

وكتاب هرمس تريس ماجستوس الأصلي لا يستطيع تحديد تاريخ له. ولكننا نقف على أرض ثابتة مع بيروسوس (٣ - ١ ق. م.) الذى كان الناقل الأكبر للتنجيم الكلدانى من بابل إلى الغرب^(٢٦).

ولنلاحظ أن كتابه «تاريخ بابل» قد أهدها إلى السلوق أنطيوخس سوتر الأول (كان ملكاً من ٢٨٠ - ٢٦١)، ويقال إنه أنشأ مدرسة التنجيم في كوس. وهذا شائق للغاية؛ لأنه يؤكد الأهمية الثقافية لهذه الجزيرة الواقعة ستراتيجياً على تقاطع الطرق التى تربط بين اليونان ومصر والأناضول وسوريا^(٢٧).
ولقد ولد أبقراط هنالك وأصبحت موقعاً لواحدة من أقدم المدارس الطبية، فلا غرو أن نسمع أنها كانت أيضاً مهداً لأقدم مدارس التنجيم. كان في استطاعة الطلاب أن يصلوا إلى كوس من القارات الثلاث في غير عناء، وكان في استطاعة

طلاب الطب خلال تجوالهم في تلك الجزيرة الصغيرة جداً أن يغيروا طريقهم المألوف ، ليجلسوا بين يدي بيروسوس ، ولعل في ذلك ما يفسر ما وجد في الكتابات الطبية المتأخرة مثل كتابات جالينوس (٢ - ٢) من تخيلات متعلقة بالتنجيم .

ويغلب على الظن أن سودينيس (أوسودينوس) البرجامي كان من تلاميذ تلك المدرسة إن لم يكن تلميذاً لبيروسوس نفسه . ولم تكن الرحلة طويلة من كوس لبرجامة . ويمثل سودينوس النظرة اليونانية البابلية : نظرة الجمع بين مختلف الآراء . وقد كتب شرحاً على أراتوس ، ولكنه اشتهر قرولاً بسبب جداوله القمرية ذات الأصل الكلداني . عاش في برجامة في عهد أنالائوس سوتر الأول (وكان ملكاً من سنة ٢٤١ إلى ١٩٧) ، وغزا جزءاً كبيراً من أراضي السلوقيين وربما وضع يده أو اختطف الفلكيين الكلدانيين .

دعني أذكر عدداً آخر من أصحاب التنجيم من أهل القرن الثالث قبل الميلاد . أشار فثروفوس إلى تلميذين آخرين من تلاميذ بيروسوس . هما أنتيباتر وأخينا بولوس ، ضاعت كتاباتهما : وهما اللذان أوضحا أن طالع الشخص يجب أن يقام على يوم الحمل لا على الميلاد : وتلك كانت فكرة صحيحة ولكن كيف فكرا في تنفيذها^(٢٨) . توجد مقتطفات يونانية لنص من النصوص الهرمسية يسمى « سالمشنيكا » ، من أصل مصري (حوالي سنة ٢٥٠ ؟) . ربما كان أبولونيوس الميندوسي (ميندوس على شاطئ كاريا ، قريبة جداً من كوس) وأبيجينيس البيزنطي من أهل العصر نفسه ، وربما كانا من تلاميذ مدرسة بيروسوس . وقد ناقش أبولونيوس وأبيجينيس النظريات الكلدانية عن المذنبات ولم يوافقا عليها . وفي رأي أبيجينيس أن الكلدانيين كانوا يعتبرون المذنبات تجمعات نارية من دوامات هوائية ، وفي رأي أبولونيوس أن الكلدانيين كانوا يعتبرونها كواكب يمكن أن تحصى مداراتها . والفرض الأبولونيوسي قد أقره سنكا (١ - ٢) الذي اختتم كلامه بهذه الكلمات التي تنبئ عن المستقبل فقال : « سيولد يوماً ما رجل يكشف مدارات المذنبات والأسباب التي جعلت مساراتها مختلفة أشد

الاختلاف عن مسارات الكواكب الأخرى . فلنتفح إذن بالاستكشافات التي حققناها إلى يومنا هذا . حتى تنهياً للأجيال القادمة أن تصيف ذرة إلى الحقيقة^(٢٩) . هذه الملاحظات المدهلة قد تبعنا عن العصر الهليني ، وإن كانت لا تبعنا عنه كثيراً . ما دام سنكا قد كتبها حوالي سنة ٦٣ قبل الميلاد^(٣٠) .

إن جزءاً كبيراً من معارفنا المتعلقة بالتنجيم في العصور الوسطى مشتق في نهاية الأمر من الكتب الهلينية ، كتب هرمس وغيره . وهذا في الغالب صحيح بالنسبة للكتب اللاتينية المترجمة من اللغة العربية .

والسمة البارزة من سمات التنجيم البطلميوسى هى خلوه من الاهتمام بحياة الإنسان بعد الموت خلواً تاماً . هذه النصوص دينية في صميمها ، ولكنها قد تجنبت الخوض في المسائل المتصلة بالجنة والنار والحياة الأخرى . وهى من هذا الوجه مختلفة جداً عن كتابات التنجيم الهندية والمسيحية^(٣١) .

ولقد زاد رواج التنجيم في البيئات العلمية بتأييد من الرواقية . وكان هذا طبيعياً على نحو ما بسبب تصور الرواقين للكون ، ونظرتهم إلى شموله واندماج الإنسان فيه وتنسيقه له و « تعاطفه » معه^(٣٢) . لقد كانوا مستعدين لقبول « المطابقة » البابلية والاتصال المتبادل بين الكون الكبير والكون الصغير . فإذا أضفت إلى ذلك اعتقادهم في العرافة أصبح التنجيم سائغاً لا غبار عليه . والصعوبة الكبرى التي اعترضتهم هى التوفيق بين « القدر » و « العناية » (بين « مويرا » و « برونويا ») بين الجبرية والحرية والواجب . وقد انشغل اللاهوتيون المسيحيون بهذا التعارض على مدى القرون^(٣٣) .

وكثيراً ما وجهت إلى الأبيقوريين تهمتان إحداهما حق – وهى التماس اللذة ، والأخرى باطلة – وهى « اللاأخلاقية » . ولكننا نقطع بأن أخلاقيتهم كانت من هذا الوجه أعلى من أخلاقية الرواقين . لقد رفضوا المهادنة مع الحرافات واللامعقولة كما رفضوا التنجيم .

الأديان الشرقية

كان الفلك أساساً علمياً للتنجيم ، في حين قدم دين النجوم تبريراً له . وقد يرتضى أهل العلم ذلك الدين ، ولكنه لم يكن يكفئهم على الإطلاق . ومع هذا ارتاحت مشاعرهم الدينية للشعر الميثولوجي ، واطمأنت شعائرهم ومناسكهم ومراسمهم لما وجدت في الأسرار المقدسة كأسرار الأورفية والديونيزية . وهذا يذكرنا بأن ديونيسيوس^(٣٤) . كان أحد الآلهة المحبوبين في العالم الهليني . وقد أضفى عليه طابع شرقي تحت اسم سابازيوس ، وهو إله فريجي خلعوا عليه شخصية كيريوس ساباوث المذكور في « سبتواجنت » والمسمى الإله الأعلى (Theos hypsistos) وما هذا إلا مثل من أمثلة كثيرة على استشراق الدين الذي كان يزدهر ازدهاراً ، لا في مصر وآسيا وحدهما ، بل في البلاد اليونانية وفي الأراضي الرومانية الغربية . وإن إحصاء للآلهة الأجانب ، المقدونيين ، والأناضوليين ، والفرس ، والسوريين وبلاد ما بين النهرين ، قد يطول جداً . وعلى الرغم من السعي الحثيث إلى إله واحد فإن النزعة الهلينية ، نزعة الجمع بين الآراء المختلفة ، وعبادة تيخي (الحظ) عبادة عمياء ، كانتا ماضيتين في تقويض دعائم الدين^(٣٥) .

قدمنا الكلام عن الآلهة المصريين الهلنيين في الفصل الأول ، لأنهم كانوا رمزاً وحماية لأسرة البطالمة وللثقافة البطلمية . هؤلاء الآلهة لم يختصوا بمصر وحدها ، ولكن نقلهم اليونانيون إلى بلادهم ، بل إلى ديولوس ، ونقلهم الرومانيون إلى غربي البحر المتوسط . وفي معبد ديولوس كان الثالوث المصري مؤلفاً من سارابيس وإيزيس وأنوبيس^(٣٦) . ولكن الثالوث الأشهر هو سارابيس وزوجته إيزيس وابنتهما حورس (هار بوكراتيس) . وقد كان سارابيس وإيزيس منقذين ، وأعظم من هؤلاء جميعاً إيزيس التي تطلعت إليها بالتدريج جميع المطامح الدينية في عالم البحر المتوسط . كما هو مبين من ألقابها وأسماؤها التي لا حصر لها . والناس في الضراء والبأساء (ومن ذا الذي خلا من ذلك ؟) لم

يكونوا يريدون منقذاً فحسب . بل كانوا يشهدون أمماً سماوية تمنحهم من لدنها عوناً وتأييداً paracleta . إن طقوس عبادة إيزيس المتقنة الرهيبة قد مهدت السبيل إلى طقوس سيدتنا مريم العذراء .

دين بني إسرائيل

كان هنالك دين شرفي لم يستطع اليونانيون أن يستوعبوه ، وهو دين بني إسرائيل . ولم يكن السبب في ذلك قلة الاتصال المادي بين أولئك وهؤلاء ، إذ وجد في عالم شرفي البحر المتوسط وفي الشرق الأدنى عدد من اليهود كبير . ولنذكر أن يهود فلسطين كانوا قد رحلوا إلى بابل أيام بختنصر سنة ٥٩٧ و ٥٨٦ ثم عاد كثيرون منهم بعد خمسين سنة أو أكثر من ذلك . غير أن كثيرين من اليهود لم يعودوا من بابل . ولم يصلوا إلى القدس ، بل استوطنوا في أجزاء كثيرة من الأناضول وسوريا . وفي مصر وخصوصاً في جزيرة الفنتين (قرب أسوان) وجدت مستعمرات يهودية قديمة جداً يرجع زمانها من القرن السابع إلى القرن الخامس . ومن سنة ٣٢٣ إلى سنة ١٩٨ كانت فلسطين جزءاً من مملكة البطلمية ، فتيسر لليهود أن ينتقلوا إلى الإسكندرية . ولكن أغلب الظن أن جزءاً كبيراً من يهود مصر المستوطنين كانوا مصريين مولداً .

وسرعان ما انقسم اليهود فريقين متعادين ، فريق مال إلى الهلينية ، فاصطنع اللغة اليونانية والعادات اليونانية ، واتخذ أحياناً أسماء يونانية ، وفريق آخر كان أكثر ولاء لتقاليدهم ، فرأى أن الآخرين خوارج و « متعاونون » ، وتكلم العبرية أو الآرامية على الأصح^(٣٧) . وكان اليهود النازعون إلى الهلينية هم الحزب الأرستقراطي من شيعتهم في المملكتين السلوقية والبطلمية . انعكست أفكارهم في سفر « الجامعة » (الواعظ ، فوهلت) المكتوب بين سنتي ٢٥٠ و ١٥٠ ، وفي كتاب « حكمة بن سيرا » المكتوب حوالي سنة ١٨٠^(٣٨) . لقد كانوا يتكلمون اليونانية كما كانوا يتكلمون الآرامية ، وكانت معرفتهم بالعبرية

ضئيلة ، فكانت في أغلب الأحيان مخلفات ألفاظ قديمة . ولم يكن اصطناعهم للثقافة اليونانية متضمناً تركهم لدينهم ، فقد كانوا يختلفون إلى المعابد التي تؤدي فيها شعائر العبادة باللغة اليونانية . وكانت العبرية التي يتكلمونها مشوبة بكلمات يونانية . مثل هذا الاندماج في الشعب الحاكم مما لا يمكن تجنبه إلى حد ما .

وحوالي نهاية القرن الثالث ، وتحت حكم بطلميوس الرابع فيلوباتر (٢٢٢ - ٢٠٥) ، فشت النزعة اليونانية نزعة الجمع بين الآراء المختلفة وأخذ يقلدها بعض اليهود النازعين إلى اليونانية من الفريقين (اليوناني واليهودي) بعد أن خلدتهم المشابهات الخاطئة المضللة . وكان بطلميوس الرابع يصبو إلى إله واحد ، « ديونيسوس » ، الذي أضيفت عليه شخصية سابازيوس وساباوث بل شخصية سارابيس . ولم يكن من شأن هذا أن يرضى كثيراً من الناس ، ولم يكن من شأنه أن يرضى اليهود على الخصوص ، حتى أولئك الذين كانوا يسمون « أدوناي » ، الإله الأعلى (Theos Hysistos) .

وبقي من اليهود رهط كثير ، خصوصاً بين طوائف الشعب ، سواء أكان تمسكهم بالدين شديداً أم كان جهلهم عميقاً ، بمنأى من عدوى اليونانية . كانت معرفتهم بالفكر اليوناني هزيلة لا تخلو من الخطأ في كثير من الأحيان . كانوا مثلاً يعتبرون أبيقور رجلاً ملحداً وساخراً ، وكانوا يستعملون وصف الأبيقوري على سبيل الزرابة والتحقير^(٣٩) . ولقد ظلوا يصنعون ذلك منذ الزمان ، ولكن لا يصح أن نسبق الحوادث .

ولما كانت الآرامية لغة اليهود الأصليين فقد احتاجوا إلى تفسير للكتب المقدسة في ذلك اللسان . وكان هذا التفسير (الآراي و « الترجم » ، « الشرح الكلداني ») شفوياً ، ولذلك كان من العسير تحديده تاريخه . كان يمارس من نهاية القرن السادس (نهاية النتي البابلي) إلى آخر القرن الثالث أو بعده . وفي إبان ذلك كان كتبة اليهود (سفرم) يحاولون أن يحققوا النص العبري . وكان عملهم بطيئاً جداً ، ولم يكن النص قد تم تحقيقه حتى القرن الثاني من التاريخ

المسيحي . أما « التراجم » المكتوبة (من حيث أنها مقابلة للتراجم الشفوية التي أشرنا إليها من قبل) فهي أيضاً مسيحية متأخرة (من القرن الأول إلى القرن الرابع وما بعده) . إن كتاباً في الأسفار الخمسة بالعبرية قد كتب بالحروف السامرية لتقرأه طائفة السامريين في القرن الثالث قبل الميلاد^(٤٠) . وأخيراً بدئت ترجمة يونانية للعهد القديم في القرن نفسه ، وهي الترجمة المسماة « سيتواجنت » ، وستكلم عليها في الفصل الذي سنخصصه للاستشراق في « الموسيون » .

تعليقات

- (١) هذه المدارس عرضناها عرضاً وافياً في المجلد الأول .
- (٢) كانت ميجارا تقع على المضيق الفاصل بين خليج كورنث وخليج السارونيكى . ومن الممكن ، قياساً على أمريكا الوسطى ، أن نطلق على هذا الإقليم الواقع بين اليونان الشمالية واللبونيز اسم « اليونان الوسطى » .
- (٣) الإذعان (باليونانية « يويتيا » *eupeithia*) ليس في اليونانية كلمة تعبر عن هذه الفكرة كما تعبر الكلمة العربية « إسلام » .
- (٤) إن معرفتنا بالمصطلحات الرواقية القديمة ناقصة ، لأن كل ما وصل إلينا مقتطفات من زينون وكليانس . وقد استعمل زينون وكليانس كلمتي *eudaimonia* ، *pronoia* وتحدث زينون كذلك عن *eupeithia* (الإذعان) و *apatheia* (انعدام التأثير بالآلام) وعن *homonia* (*concordia*) . وقد استعمل ماركس أوريلوس لفظي *apatheia* ، *ataraxia* (التحرر من الأهواء) واستعمل مشتقات مختلفة من كلمة *coinos* (المشترك) . ولعله واضح كلمة *coinoocmosyne* (الشمور بالأخوة) . وكلمة *aphilochrematia* (ازدراء المال) واردة في كتابات بلوتارك . وكثير من الكلمات الرواقية (مثل كلمة *ataraxia*) استعملها أيضاً الإبيقور يون الذين شاركوا الرواقيين في الدعوة إلى السكينة .
- (٥) أنشودة إلى زينوس (*Hymnos eis Dia*) في ٣٨ سطراً . إنها توسع جميل في دعاء «لنكن مشيتك» .
- (٦) عرفت البراءة الرواقية بألفاظ *apatheia* ، *ataraxia* ، *aphilochrematia* (بلوتارك) ويظهر التضاد بين عدم التأثير والبراءة من حين إلى حين ، ومن العسير وضع حد بينهما . فثلاً كثيراً ما كان القديسون يهتمون بأنهم لا يتأثرون . وقد وجه اللوم نفسه - بحق - إلى الرواقيين ، بل إلى أعظمهم .
- (٧) نشرت اعتماداً على البرديات الهرقبولانية بعناية
Carolus Wilke, Polystrati Epicurei peri alogu cataphroneseos libelus
 (58 pp.; Leipzig, 1905) عن نقد الآخرين فقد لا يستند إلى العقل .
- (٨) انظر تفصيل ذلك في الجزء الثالث (ترجمة عربية) ، ص ٣٥٦ - ٤٠٠ . جميع المدارس الفلسفية اليونانية فقد عرفت ووصفت فيه ، لأنها جميعاً كانت تراثاً للقرن الرابع .
- (٩) إيليس في الشمال الغربي لللبونيز . ولست أعرف هل المقصود بإيليس هو المدينة أو المقاطعة . إن أولبيا التي كانت تقام فيها الألعاب الأولمبية كانت في المقاطعة نفسها جنوبي مدينة إيليس وفيلوس (المقاطعة والمدينة) تقع في الشمال الشرق لللبونيز . وكلمة *Sillographos* معناها كاتب تصائد هجائية *Silloi* .
- تاريخ العلم - رابع

- (١٠) أنتيجونوس الثاني جوناتاس : ملك مقدونيا من سنة ٢٨٣ إلى سنة ٢٣٩ .
William Woodthorpe Tarn, *Antigonos Gonatas* (513, pp. Oxford 1913).
جوناتاس كان يقرب إليه الفلاسفة والشعراء كما كان يفعل أراتوس الصولي والمؤرخون مثل هير ونيصوس الجاردياني .
- (١١) هامش اشتقاق لفظ *Moirai* اليوناني .
- (١٢) يرى أفلاطون أن *moirai* (المحظوظ) هن بنات *Ananke* (الضرورة) وفي اللاتينية يطلق عليهن لفظ *Parcae* ، والأسماء المفردة هي :
Nona, Morta, Decuma.
- (١٣) Stephen d'Irsay, "Notes to the origin of the expression *Atra mors*", *Isis* (1926), 8, 328-332.
وأتماماً عن معنى التعبير في كلمة *ater* ترى هل تلون بذكرات من أتروبيوس . ولكن ديريساي لم يشر إلى ذلك .
- (١٤) هذه الأفكار الفلكية والتنجمية كانت قديمة في القرن الثالث ق . م . أما التناظر بين العالم الكبير والعالم الصغير فكان من أصل إيراني أو بابلي ، ويمكن أن يرجع به في بلاد اليونان إلى أفلاطون وديموقريطوس (الجزء الأول (ترجمة عربية) ، ص ٣٧٢ ، ٤٣٩ ، الجزء الثالث (ص ٤٤ ، ٣٨٧) .
- (١٥) اشتهر سفر رؤى سلاثليل باسم « الكتاب الثاني لعزرا النبي » أو أزدراس ، وهو غير موجود في الأصل الآرامي ولا في اليوناني ماعدا قطعة اكتشفت في إحدى برديات أوكسيرنخوس ، ولكن فقط في ترجمات لاتينية قديمة وترجمات شرقية مختلفة . لقد كتب في الفترة بين ٦٦ - ٢٥٠ . وهو يحتوى على ست رؤى لسلاثليل وقعت بعد هدم القدس سنة ٥٨٦ بنحو ثلاثين سنة أي سنة ٥٥٦ .
انظر تحليل الكتاب في ،
Robert H. Pfeiffer, *History of New Testament Times* (New York, Harper, 1949) *Isis* 47, p. 230 (1950) pp. 81 - 867.
- (١٦) هذا الاقتباس مستعار بترخيص من و. و. تارن W.W. Tarn, *Hellenistic civilisation*, (London, 1952) p. 346.
- (١٧) عن كتاب *de Hebdomadis* انظر المجلد الأول ص ٢١٥ . انظر عن هيجل :
Horus : A guide to the history of science (Waltham, Mass. : Chronica Botanica 1952) p. 37.
- (١٨) تكلمنا عن هذا بالتفصيل في الجزء الثالث (ترجمة عربية) ، ص ١١٣ - ١١٧ .
- (١٩) G. Sarton, "Lunar influences on living things" *Isis* 30, 495 - 507, (1939).
- (٢٠) كان ذلك طبيعياً جداً لأن الفرس حكموا في بابل ومصر حوالي هذا الزمن الذي بدأ سنة ٥٣٨ أو ٥٢٥ ، وانتهى في كلا القطرين بفتح الاسكندر سنة ٣٣١ وبعد بضع سنوات سادت فيها الفوضى حكم بابل السلوقيون (٣١٢ - ١٧١) ثم البارثيون (١٧١ ق . م . - ٢٢٦ م .).

والساسانيون (٢٢٦ - ٦٤٦) ، وأخيراً المسلمون وبدأ التنجيم البابلي في العصر الفارسي أما الضرب الممقد من علم الفلك فقد ظهر في عهد السلوقيين . انظر الفصل التاسع عشر .

(٢١) horoscopus هو الرجل الذي يُراعى ساعة الميلاد (لأن مايمه ليس هو اليوم فقط بل الساعة أيضاً) وكان يطلق على هذه العملية لفظ horoscopy . ومن هنا جاءت كلمة horoscope وتدل على العملية لاعلى الشخص المبين للطالع .

(٢٢) هرمس ابن زيوس ومايا كان إلهاً للعلوم الخفية ، و كان مرادفاً للإله المصري توت ، ويسمى عطارد عند الرومان . ولفظ "hermetic" يشير إلى العلم المستور ، والعجيب أنه يشير أيضاً إلى المغلق المحكم . كانت صناعة الكيمياء تسمى الفن المحكم الانفلاق، وكانوا يتحدثون أيضاً عن الطب المحكم الانفلاق .

(٢٣) Introduction (Vol. 3, p. 453) نشر النص اللاتيني نشرأ مثاليا بمعنى فيلهلم جونديل في

by Wilhelm Gundel, *Abhandlungen der bayerischen Akademie der Wissenschaften* (phil. hist. Abt., part 12, 386 pp., Munich, 1936).

والتحليل بقلم Claire Preaux, *Chronique d'Egypte*, 12, 112 - 115 (1937).

(٢٤) ماري كانت زوجة « شارل الرابع الجميل » ماتت سنة ١٣٢٤ . وإذن كانت الترجمة الفرنسية أقدم بكثير من قرن من النص الهارلياني اللاتيني المؤرخ سنة ١٤٣١ .

(٢٥) « المنازل اليونانية » تحتوي على النجوم المعروفة لأراتوس وهيبارخوس ، أما المنازل الأعجمية فتحتوي على نجوم أخرى معروفة لعلماء الفلك غير اليونانيين . والمصريون القدماء قسموا المنطقة الاستوائية إلى ٣٦ عقداً ، لكل واحد عشر (١٠) درجات . والبابليون والمصريون القدماء قسموا حزام منطقة البروج إلى ١٢ ساعة أو علامة لكل واحدة ٣٠ درجة ، وحيث إن الحزامين الاستوائيين والبروجيين يكتنف أحدهما الآخر فلم يكن من العسير على مجموعات النجوم أن تمر من منظومة إلى أخرى . انظر المجلد الأول ص ٢٧ ، ٢٩ ، ١١٩ .

(٢٦) دخل علم التنجيم الكلداني العالم اليوناني قبل بيروسوس . كانت توجد آثار منه في رسالة ثيوفراستوس عن العلامات (peri semeion) . وفي رواية بروكلوس « يقول لنا ثيوفراستوس إن معاصره الكلدانيين كانت لهم نظرية رائعة تنبأ بكل حادث ، بحياة وموت كل كائن بشري » . فلم يكن تنبؤها مقصوراً على الآثار العامة كالطقس الحسن أو القبيح

Procli in Platonis Timaeum commentaria, ed. Ernest Diehl (Leipzig, 1906) Vol. 3, p. 151.

(٢٧) الجزء الثاني (ترجمة عربية « قوص من الناحية الأثرية ») ، ص ٣٣١ - ٣٤٣ .

(٢٨) طبعا ربما يستقظون تسعة شهور من تاريخ الميلاد . وكان ذلك تصفيهاً . ويوجد بالمتحف البريطاني مكتوب قديم يستعمل يوم الميلاد الفعل ١٥ ديسمبر ٢٥٨ ق . م . وتاريخ

الحمل المشتق منه ، ١٧ مارس ٢٥٨ .
Frederick H. Cramer,
Astrology in Roman law and politics (Philadelphia : American Philosophical Society,
1954) p. 14.

Seneca, *Questiones naturales*, VII, 3.

(٢٩)

والفصل كله مخصص للكلام عن المذنبات . وفي وسطه (فصل ٧ فقرة ٢٥ ، ٤ - ٥) عبر سنكا عن رؤاه فيما يتصل بمستقبل العلم ، وعبر عن آراءه من هذا القبيل في رسالة إلى لوكيلوس (رقم ٦٤ ، ذكرناها في المقدمة ، م ٢ ص ٤٨٤) .

(٣٠) بدأت نبوة سنكا تتحقق عند رجيومونثاذور الذي فحص مدار مذنب سنة ١٤٧٢ وعند تيكوبراهي الذي فحص مذنب سنة ١٥٧٧ . لقد نمت معارف الناس عن المذنبات ببطء شديد . فقد تراهي جيوفاني ألفونسو بوريل في سنة ١٦٦٦ أن مدارات المذنبات ذات قطع مكافئ . وهذا أيده جورج صمويل دورفيل في سنة ١٦٨١ بمناسبة مذنب سنة ١٦٨٠ . والواقع أن مذنبات كثيرة ذات قطع مكافئ ، ومذنبات أخرى ذات قطع ناقص ، ولكن غالباً مع اختلاف مركزي كبير . وقد أوضح ادسوند هال (١٦٥٦ - ١٧٤٢) هذه المسألة في بحثه

"astronomiae cometicae synopsis" *Phil. Trans.*, 24, 1882 (1705).

المنشور منفرداً بالانجليزية (أكسفورد ١٨٠٥) وفيه أثبت رجوعاً دورياً للمذنب نفسه ، « مذنب هالي » في السنوات ١٥٣١ ، ١٦٠٧ ، ١٦٨٢ ، وتنبأ برجوع آخر في سنة ١٧٥٨ . وقد رجع بالفعل في سنة ١٧٥٩ ورجع مرة أخرى سنة ١٨٣٥ و ١٩١٠ . ويمكن أن نقول إن هالي كان أول من حقق نبوة سنكا ولومثأخرها سنة ١٦٤١ .

Franz Cumont, *L'Egypte des astrologues*, Bruxelles : Fondation égyptologique-
que, 1937) (*Isis* 29, 511 (1938)).

(٣٢) المصطلحان اليونانيان هما *symphonia* (أفلاطون ، أرسطو) و *synpathia* (أرسطو)

وبلوتارك) .

(٣٣) انظر مناقشة التنجيم في مقدمتي . في مواضع كثيرة . اطرحت الكنيصة الاحتفال بالتنجيم من الناحية النظرية ولكنها اضطرت أن تتهادن معه مراراً من الناحية العملية .

(٣٤) سمى ديونيسوس في اللغة اللاتينية باخوس . والاسم اللاتيني في الحقيقة مأخوذ من الأصل

اليوناني الالهي Bacchos .

(٣٥) ذاعت نزعة الجمع الهلنيتية بين الناس ذيوحاً جعلهم لا يقتصرون على عبادة الآلهة

الأجنبية ، بل يعبدون أمشاجاً منها . فثلا ستراتونيس ملكة أنطيوخس سوتر الأول (بن السلوقيين

٢٨١ - ٢٦١) زودت معابد أبوللون وديولوس بالآلهة السورية أمارجاتيس في هيرابوليس ، وبالمصري

أنوبيس في أزمير . أكانت تعتبرهم مظاهر مختلفة لإله واحد ، أم كانت تلتصم طريق الأمان

فحسب ؟

(٣٦) كان أنوبيس إله الموت يهتم بدفنهم وانتقلهم إلى العالم الآخر في أمان . وقد كان اليونانيون ينظرون إليه على أنه هوهرس (هرمانوبيس) . وكان ابن آوى مقدسا عنده ، والمصر عند حورس . إن رسوم صور إيزيس شديدة التعقيد كمبادئها التي انتشرت في كل صقع وبقيت حتى نهاية القرن الرابع بعد المسيح ، وكان هدم سارابيون الإسكندرية على يدي الأسقف تيوفيلوس سنة ٣٩١ ق . م نهاية الدين المصري في العالم المسيحي .

(٣٧) كانت الآرامية (شكل قديم من أشكال السورانية) هي اللغة الجارية في الامبراطورية الفارسية ، وظل استعمالها شائعاً في الشرق الأدنى على ألسنة اليهود وغيرهم . Introduction ، م ٣ ص ٣٥٦ .

Robert H. Pfeiffer, *Introduction to the Old Testament* (New York 1941) (٣٨)
(*Isis* 34, 38 (1942 — 43) pp. 724 — 731).

(٣٩) الجزء الثالث (ترجمة عربية) ، ص ٣٦٩ . نرى الأصل التاريخي للإهانة بالتدريج ، كما يقع في كثير من الأحيان . وكان سيميون بن زماح دوران (١٣٦١ — ١٤٤٤) الأول في المصور الوسطى الذي قدر له أن يستكشف أن ابيقور كان فيلسوفاً يونانياً . (رسالة من سولومون جاندز بتاريخ ١٦ ديسمبر ١٩٥٢) .

(٤٠) الانشقاق السامري وقع في القرن ٤٣٢ — ٣٣٢ . ومن هنا ربما يكون كتابهم «الأسفار الخمسة» قد كتب قبل سنة ٣٠٠ بقليل . والمكتوب السامري هو تعديل حروف الهجاء الفينيقية القديمة التي رفضها اليهود من أجل توراتهم بعد سنة ٢٠٠ ق . م . بقليل .

انظر بيفير : Introduction to the Old Testament pp. — 101 — 104.
وفي مواضع أخرى متفرقة ، وانظر «مقدمتي» Introduction, vol. 1, p. 15 إن فئة قليلة من الطائفة السامرية لاتزال موجودة في نابلس أو شيخم على مقربة من جبل جريزم مكانها المقدس .